

إِعْدَادُ

عَبْدِ الرَّزَّاقِ بْنِ عَبْدِ المُحْسِنِ البَدْرِ

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على عبد الله ورسولِهِ وخليلِهِ نبِّينا محمَّد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإنَّ الإيمانَ أهمُّ ما يجبُ على العبدِ العنايةُ به في هذه الحياة، فهو أفضلُ ما اكتسبته النُّفوسُ، وحَصَّلتهُ القُلوبُ، ونالَ به العبدُ الرفعةَ في الدنيا والآخرة، بل إنَّ كلَّ خيرٍ في الدُّنيا والآخرة مُتَوقِّفٌ على الإيمان الصَّحيح.

فينبغي على كلِّ عبدٍ مؤمن ناصحٍ لنفسه أن يتفقَّدَ إيمانَهُ، وأن ينظُرَ في حالـهِ مع الإيمان؛ هل إيمانه في نماءٍ وقوةٍ وزيادةٍ؟ أو أنه بخلاف ذلك إلى وَهَنٍ وضعفٍ ونقص؟

بل ما أَحْوَجَهُ إلى تجديدِ الإيمان والسَّعي في تَتميمِهِ، والحذر من مُنقِصاته ومُضْعِفاتِه، والسعي في تقويته، فإنَّ الإيمان تعتريه

أمورٌ كثيرةٌ تُنقِصُهُ؛ مِن فِتَنِ الدنيا، ووساوسِ الشَّيطان، وقُرَناء السُّوء، وخلطاء الفساد، والنفس الأمَّارة بالسوء، وغير ذلك من الأمور التي يترتَّبُ عليها ضعفُهُ ونقصُهُ فيحتاج إلى سَعْيٍ حثيثٍ لتقويته وتجديده.

روى الحاكمُ في «المستدرك»، والطبرانيُّ في «المعجم الكبير» عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الإيمان ليَخلَقُ في جوف أحدكم كما يَخْلَقُ الثوبُ، فاسألوا الله أن يجدِّد الإيمان في قلوبكم»**[(١)].

فوصَفَ ﷺ الإيمانَ بأنه يَخْلَقُ كما يَخْلَقُ الثوب، أي: يَبْلى ويَضْعُفُ، ويَدْخُلُهُ النَّقصُ من جرَّاء ما قد يقع فيه المرءُ من معاصٍ وآثام، وما يلقاهُ في هذه الحياة من مُلهياتٍ وصوارفَ متنوعةٍ تصرفه عن الإيمان، وفتنٍ عِظام تُذهبُ جِدَةَ الإيمان

---

(١) انظر: «المُستدرك على الصحيحين» (١/ ٤)، و«المعجم الكبير» (١٣/ ٣٦)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم: (١٥٨٥).

وحيويَّتَـه وقوَّتَه، وتُضعِفُ جمالَهُ وحُسنَـهُ وبَهاءَه؛ وهاهنا أرشد النبيُّ ﷺ إلى ضرورة تجديد الإيمان في القلب بالتوجُّه الصَّادق إلى الله عَزَّوَجَلَّ فقال: «**فاسألوا الله أن يجدِّد الإيمانَ في قلوبكم**».

فالمقام يتطلَّبُ توجُّهًا صادقًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وسؤالاً مُـلِحًّا أن يزيدَ الإيمانَ ويقويه، وأن يُـجدِّدَه في القلب، وأن يمكِّـنَـهُ فيه، والله جَلَّ جَلَالُهُ يقول: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾[إبراهيم:٢٧].

ولابدَّ من جهاد النفس ومحاسبتها، وإلزامها بالحقِّ وأَطْرِها عليه أطرًا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[العنكبوت:٦٩].

ولابدَّ أيضاً من الحذرِ الشديد من الفتن، ولاسيَّما في هذا الزمان الذي تكاثرت فيه الفتن التي تُضْعِفُ الإيمان؛ بل كثيرٌ منها تأتي على الدِّين من أساسِهِ، وتَنـقُضُهُ مِن أصلِـهِ.

والإيمانُ أثمنُ شيءٍ في الوجود، وأغلى كنز في هذه الدنيا، ومن افتقده افتقد الحياة الحقيقيَّـة، فإنه لا حياة حقيقةً للإنسان بلا إيمان، وأما مُـجَرَّد المشي على الأقدام، والأخذُ بالأيدي، والتكلُّم بالألسُن دون الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهذه حياة بهيميَّـة؛ لأنه يشتركُ فيها الإنسانُ والحيوانُ، أمَّا الحياة الحقيقة فهي حياة الطاعة للرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واتِّباع الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ ولهذا قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

ولقد كان السَّلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ من الصحابة ومن بعدهم يعنون بإيمانهم عناية كبيرة، ويهتمُّون به اهتماماً بالغاً، والآثار المنقولة عنهم في تفقُّد الإيمان والعمل على تقويته وتجديده كثيرةٌ.

* فهذا الـخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لأصحابه: «**هَلُمُّوا نزدَدْ إيمانًا**»[1]، وفي لفظ: «**قُمْ بِنا نزدَادُ إيمانًا**»[2]،

---

(١) أخرجه اللالكائيُّ في «الاعتقاد» رقم: (١٧٠٠)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» رقم: (٣١٠٠٣)، وإسناده صحيح.

أي: نجلسُ ونذكرُ اللهَ تبارك وتعالى، ونذكرُ الجنة، ونذكرُ النار، ونذكرُ وعِيدَ الله ووَعْدَه، ونذكرُ رجاءَهُ وخوفه، فنذكر ذلك كلَّهُ حتى يزيدَ إيمانُنا ويَقوى.

* وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «**اجلسوا بنا نزدد إيماناً**»[١]، وكان يقول في دعائه: «**اللهم زدني إيماناً ويقيناً وفِقهاً**»[٢].

* وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: «**اجلسُوا بنا نؤمن ساعة**»[٣].

* وكان عبدالله بن رواحة رضي الله عنه يأخذ بيد النَّفَر من أصحابه فيقول: «**تعالَوا نؤمن ساعة، تعالوا فلنذكر الله فنزدد إيماناً بطاعته؛ لعله يذكرنا بمغفرته**»[٤].

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم: (٤٤).

(٢) أخرجه الآجريُّ «الشريعة» (٢١٨)، وصحَّحه الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم: (١٠٥)، وصححَّه الألباني في تعليقه على «الإيمان» لابن أبي شيبة (ص٣).

(٤) المصدر السابق برقم (١١٦)، وهو حسنٌ بمجموع طرقه.

* ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه: «**مِن فِقْهِ العبدِ أن يعلم أَمُزدادٌ هو أم مُنتَقِص، ومن فِقْهِ العبد أن يعلم نزغاتِ الشيطان أَنَّى تأتيه**»[(١)].

يريدُ أنَّ مِن فقهِ العبدِ أن ينظرَ في أمر إيمانه أفي زيادة هو أم في نقصان، فكثيرٌ من الناس ينقصُ إيمانه ولا ينتبه؛ وهذا من ضعف الفقه والبصيرة.

* وكان عُمير بن حبيب الخَطْمي رضي الله عنه يقول: «**الإيمان يزيد وينقص**» فقيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: «**إذا ذكرنا الله عز وجل وحمِدناه وسَبَّحناه فذلك زيادته، وإذا غَفَلنا وضيَّعنا ونَسِينا فذلك نقصانه**»[(٢)].

* وكان علقمة بن قيس النخعيُّ رحمه الله وهو أحد كبار التابعين وأجلَّائهم يقول لأصحابه: «**امشوا بنا نَزدد إيمانًا**»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة» رقم: (١١٤٠).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٣٨١) وغيره، وسنده حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٠٤) وحسَّنه الألباني في تعليقه عليه.

* وسئل عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإيمان أيزيدُ؟ قال: «**نعم، حتى يكون كالجبال**»، قيل: أفينـقُصُ؟ قال: «**نعم، حتى لا يبقى منه شيء**»[(١)].

* وسئل الإمامُ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإيمان: يزيد وينقص؟ قال: «**يزيد حتى يبلغَ أعلى السَّماوات السبع، وينقصُ حتى يصيرَ إلى أسفل السَّافلِين السبع**»[(٢)].

والآثار والنُّقول عن الصحابة والتابعين والأئمَّة في هذا المعنى كثيرة، ومن نظر في سير هؤلاء الصحابة والتابعين والأئمة الأجِلَّاء أدرك كيف كانوا يتفقَّدون إيمانَهم، ويسعَون في زيادته وتقويته، ويبتعدون عمَّا يُضعفه ويُنقصه، وهكذا الشَّأنُ في كلِّ من اتبعَهُم بإحسان.

قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالـعبد الـمؤمنُ

---

(١) أخرجه اللالكائي في «الاعتقاد» رقم: (١٧٤٠).

(٢) رواهُ ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٥٩).

الموفَّق لا يزال يسعى في أمرين:

- **أحدهما**: تحقيق الإيمان وفروعه والتحقُّق به علـمًا وعملًا حالًا.

- **والثاني**: السعيُ في دفع ما يُنافيها ويُناقِضُها أو يُنقصها من الفتن الظاهرة والباطنة، ويداوي ما قصَّر من الأول، وما تـجرَّأ عليه من الثاني؛ بالتوبة النصوح وتدارك الأمر قبل فواته»[(١)].

وفي هذا تنبيهٌ على أهمية مراعاة الجانِـبَين؛ فيُعنى العبدُ بجانب تجديد الإيمان وقوَّتهِ وزيادته، والسعي في تكميله بفعل الطاعات وامتثال أمر الله جَلَّ جَلَالُهُ.

ويَسعى في دفع الأمور التي تُضعِفُ الإيمان وتُنقِصُهُ.

وهذا يتطلَّب معرفة أمرين عظيمين، ثمَّ العمل والسَّعي على تطبيقهما:

---

(١) «التوضيح والبيان لشجرة الإيمان» (ص٨٣).

* **الأول**: أسباب زيادة الإيمان وقوته.

* **الثاني**: أسباب نقص الإيمان وضَعفِه.

وهي كثيرة، ولكن أشير إلى أهمِّها على وجه الأختصار والإيجاز.

ونبدأُ أولًا بذكر أهمِّ الأمور الباعثة على زيادة الإيمان وتجديده:



فبالعلم النافع -علمِ الكتاب والسنة- يزيد الإيمان ويقوى حتى يتمكَّن في القلب، وأبوابُ العلم الشرعي كثيرة جدًّا، وأوَّلُ ما يدخلُ في ذلك قراءةُ القرآن الكريم وتدبُّرُه، فإنَّ كلامَ الله من

أعظم ما يزيد الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[التوبة: ١٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص: ٢٩].

فتدبُّر القرآن وتلاوتُهُ والتأمُّل في آياته يزيد في إيمان العبد.



فإن الله ﷻ يقول: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[الإسراء:١١٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

وقال النبيُّ الكريم عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ لله تِسعَةً وتسعينَ اسْماً مائَةً إلَّا وَاحِداً؛ مَنْ أَحْصاهَا دَخلَ الـجنَّـةَ**»(١).

فمعرفة أسماء الله تعالى الـحسنى ومعرفة معانيها ثمَّ العمل بما تقتضيه مِن أعظم أسبابِ زيادة الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٦٤١٠)، ومسلم رقم: (٢٦٧٧).



التأمُّل في سيرة النبي الكريم ﷺ

فإنَّ التأمُّلَ في سيرة النبي ﷺ وهديه، وآدابه، وأخلاقه، ومعاملاته، وجهاده، وبذله وعطائه، وغير ذلك؛ من أعظم ما يزيد الإيمان.

ولذا حرصَ السَّلفُ رحمهم الله على تعلُّم السِّيرة النبوية، وتعليمها لأبنائهم، وأهليهم، كما قال زين العابدين علي بن الحسين رحمهم الله: «كُنَّا نُعَلَّمُ مغازيَ النَّبي ﷺ كما نُعَلَّم السُّورةَ منَ القرآنِ»[(١)].



(١) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» رقم: (١٥٩١).



معرفة محاسن الدين الإسلامي

فالدين الإسلامي كلُّهُ محاسن، إن نظرتَ إلى العبادات ستجدُ أنها أكمل العبادات وأحسنها، وإن نظرتَ إلى العقائد ستجد أنها أصح العقائد وأقومها، وكذا آدابه وأخلاقه أكمل الأخلاق وأجملها وأطيبها، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾.

فبالنَّظر إلى هذه المحاسن يزداد العبدُ حبًّا لهذا الدِّين، وإقبالاً عليه، وعملاً وسعياً في تطبيقِه.





إنَّ قراءةَ سير السلف الصالح -كسيرة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ﭫ، وسير التابعين والأئمة ﭭ- قراءةَ تأمُّلٍ وتدبُّر واتِّعاظ من أسباب زيادة الإيمان، كما قيل:

كـرِّرْ عليَّ حديثَهم يا حادي

فحديثهم يجلو الفؤادَ الصادي

قال محمد بن يونس שּׁ: «**ما رأيتُ للقلبِ أنفع مِن ذكر الصالحين**»[1].

---

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ١٨).



التأمل في آيات الله الكونية

فالتأمُّل في خلق الله ﷻ من الأشجارِ والجبالِ والأنهارِ والبحارِ والأوديةِ والسماءِ والأرضِ والنجومِ والقمر وغيرها يزيد في الإيمان، بل لو تأمَّل الإنسان في نفسه، كيفَ أنَّ الله خلقَهُ في أحسن تقويم، وعلى أكمل حال، سيجد زيادةً في إيمانه وقوَّةً، كما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾، وقال ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾.

وللهِ في كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وتَسْكِينَةٍ أبداً شاهدُ
وفي كُلِّ شيءٍ له آيةٌ تَدُلُّ على أنه واحدُ



تقدَّم معنا قولُ عُـمَير بن حَبِيب الـخَطْمي ﵁ وغيـره من أصحاب النبي ﷺ بأنَّ الإيمان يزيد بطاعة الله، فالإيمان يزيد بالعبادات كالصَّلاة، والزَّكاة، والصَّدقة، والتَّسبيح، والتَّهليل والتَّحميد، والتَّـكبير، وتلاوة القرآن، وغيرها، فبطاعة الله ﷻ وبامتثال أوامره يقوى الإيمان ويزداد.

والأعمال ثلاثة أنواع:

١ – **أعمالُ القلب**: مثل: الخوف، والرجاء، والحبِّ، والخشية، والإِنابة، والتوكُّل، وغير ذلك.

٢- **وأعمالُ اللِّسان**: مثل: التَّسبيحِ، والتَّحميدِ، والتَّـكبـيـرِ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقراءة القرآن.

٣- **وأعمـال الجوارح**: مثل: الصدقة، والصلاة، والزكاة، والمشي في طاعة الله تبارك وتعالى، فهذه الأمور كلُّها تزيد الإيمان.

وهذا تلخيص موجز للأمور التي يزيد بها إيمان العبد، ويقوى، وأمَّا الأسباب والأمور التي يضعف بها الإيمان وينقص فهي بلا شك كثيرةٌ أيضاً، والعبد مطالَبٌ بمعرفـتها؛ ليـحذرَ منها ويتَّقيها، كما قال الشاعر:

عرفتُ الشَّر لا للشر ولكن لتوقِّيه

ومن لم يعرف الشرَّ من الخير يقع فيه

وقبل الشُّروع في ذكر الأُمور التي تُنقص الإيمان يحسُنُ أن أُشيـرَ إلى أنَّ عدمَ تعاهد أسباب زيادة الإيمان، وإهمال تقويتهِ، وترك العناية به يُعَدُّ سبباً من أسباب نقصِ الإيمان.

ثم إنَّ هناك أسباب وعوامل عديدة ومتنوعة يَنقص بها الإيمان ويضعف، ويمكن أن نَـقْسِمها إلى قسمين رئيسين، ويتفرَّع عنهما عوامل كثيرة:

- **القسم الأول**: الأسباب الداخلية أو العوامل الذاتية التي لها تأثير على الإيمان بالنقص.

- **والقسم الثاني**: الأسباب والعوامل الخارجيَّة التي تؤثر على الإيمان بالنقص.

فأمَّا القسمُ الأوَّل؛ وهي الأسباب الداخليَّة التي يكون منشأها من الإنسان نفسِه، فأبرزها الآتي:

﴿ الجَهْلُ ﴾

وهذا أهمُّ الأسباب الداخلية، والجهلُ ضد العلم، فكما أنَّ العلمَ يزيد في الإيمان ويُقوِّيه، فكذلك الجهل وقلَّة العلم ينشأ عنه ضعف الإيمان، ولهذا بيَّـن الأنبياءُ عليهم السلام لأقوامهم في كثيرٍ من

النُّصوص أنَّ سبب ما هم فيه من الشرك والمعاصي هو الجهل؛ كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف:١٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[النمل:٥٤-٥٥].

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾[الزمر:٦٤].

وقال الله عز وجل: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[الأحزاب:٣٣]، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

فالجهل رأس الداء، وأساس المصيبة؛ فعندما يَـجْهل العبد دين الله، وما يقرِّب إليهِ ينشأ عن ذلك فعل المعاصي، والانحرافُ البيِّن عن دين الله سبحانه وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ

﴿يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[النساء:١٧].

والجهالة في هذه الآية: تعني جهالةُ الفاعل لعاقبة المعصية -والتي من أهمِّها سخط الربِّ عليه وعقابه- فإنه ينغمس فيها وتكثر منه، ولهذا كلُّ من عصى الله جَلَّ جَلَالُهُ فهو يجهلُ ما يترتَّب على هذه الـمعصية من أضرارٍ وأخطارٍ كثيرة في الدنيا والآخرة.

الغَفلةُ

فإذا غَفَـلَ الإنسان عمّا خُلق له ضَعُفَ إيمانه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذمَّ الغفلة في كتابِهِ، وحذَّر أشدَّ التحذير من سبيل الغافلين، وبيَّن ربُّـنا في كتابِهِ أنها صفة الكافرين، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس:٩٢].

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾.

فالغفلة -وهي سهو يعتري الإنسان- داءٌ خطيرٌ يُصِيبُ الإِنسانَ ويُبعِدُهُ عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وعن امتثال أمره، والاطمئنان لطاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الإِعراضُ

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾؛ فالإعراض عمَّا أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به مِن صفة المجرمين؛ الذين ينتقم اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ منهم، فلا ينبغي لعبدٍ عندما يسمع كلام الله عَزَّوَجَلَّ، أو يسمع حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُعرض عنه؛ بل الواجبُ أن يُقبِل على طاعته وامتثاله واتِّـباعه.

وصحَّ عن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر؛ فأقبل اثنان إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذهب واحدٌ، قال: فوقَفا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فأما أحدهما: فرأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر:

فجلس خلفَهم، وأما الثالث: فأدبرَ ذاهباً، فلما فرغ رسولُ الله ﷺ قال: « **ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخرُ فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخَر فأعرضَ فأعرضَ الله عنه** »(١).

النِّسيانُ

فإذا نسيَ العبدُ ما أُمر به ضَعُفَ إيمـانُهُ، والنسيان نوعان:

١ – **نسيان لا يُعذَر فيه الإنسان**: وهو ما كان أصلُهُ عن تعمُّدٍ منه، ومن هذا النوع قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[الحشر:١٩].

٢– **ونوعٌ يُعذَر فيه الإنسان**: وهو ما لم يكن عن تعمُّدٍ منه، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٦)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢١٧٦).

وقد جاء في الحديث أنّ الله تعالى قال: « **قد فعلت**» (١).

فِعْلُ المعاصِي وارْتكَابُ الذُّنوبِ

فكما أنَّ الإيمانَ يزيدُ بالطاعة فهو يَنقِص بالمعصية، وأنواع المعاصي كثيرة، وقد بيَّنها النبيُّ ﷺ جملةً وتفصيلاً، وبيَّن الكبائر من الذنوب والصغائر بأعظم بيانٍ وأوضحِهِ.

ولهذا ينبغي على العبدِ أيضاً أن يَعرف حجمَ المعاصي، وما يترتَّب عليها من خطرٍ وضررٍ حتى يتحاشاها، وقد ثبتَ عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ العبدَ إذا أخطأَ خطيئة نُكِتتْ في قلبهِ نكتةٌ سوداءُ، فإذا هو نَزَع واستغفر وتاب سُقِل قلبُهُ، وإن عادَ زِيدَ فيها حتى تعلو قلبَهُ وهو الرَّان الذي ذكر الله:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» (٢).

---

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» كتاب الإيمان، رقم: (١٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٣٣٣٤)، وحسَّنه الألباني في «الترغيب» رقم: (٢٤٦٩).

النَّفسُ الأمارة بالسُّوء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾، وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذُ في خُطبِهِ من شر النفس، قال ﷺ: «**الحمدُ لله نَحمدُهُ ونستَعِينُهُ ونَستَغفِرهُ ونعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا ومِن سَيِّـئات أَعمالِنَا**»[1]، فاستعاذ من شرِّ النفس ومن سيِّئ العمل.

وثبتَ عنه ﷺ في الدعاء الذي علَّمه أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقوله في الصباح والمساء وعند النوم: «**قل: اللهمَّ عالم الغَيبِ والشهادة، فاطرَ السَّموات والأرض، ربَّ كلِّ شيء ومَليكَه، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أعوذُ بك مِن شَرِّ نفسي، ومِن شَرِّ الشيطان وشركه**»[2] فأمَرَه عليه الصلاة والسلام أن يستعيذَ في الصباح والمساء

---

(١) أخرج هذه الخُطبة الترمذي في "جامعه" رقم: (١١٠٥)، وغيره، وأصلها في «مسلم» رقم: (٨٦٨)، وصححه الألباني في رسالته "خطبة الحاجة".

(٢) أخرجه الترمذيُّ في "جامعه"، رقم: (٣٣٩٢)، وغيره، وصححه الألباني في "الكلم الطيب" (٢٢).

وعند النوم من شر نفسه، فإنَّ النفسَ تأمرُ الإنسانَ بالسوء والفساد وفعل المعاصي، وتدعو إلى المهالك، وتسعى إلى كل قبيح، فهي بطبعها تجري في ميدان المخالفة والإعراض.

أما القسم الثاني فهو: الأسباب والمؤثرات الخارجية التي تؤثر في الإيمان بالنقص؛ وتتلخَّص في ثلاثة عوامل:

الشيطان

وهو أخطَرُها وأشدُّها ضررًا؛ فالشيطان هو أَلَـدُّ أعداء الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[فاطر:٦].

وقد حذَّرنا ربُّنا منه أشدَّ التحذير، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[النور:٢١].

ومن مظاهرِ خطره أنه يجلسُ للإنسان في كل طريق؛ سواء كان هذا الطريق طاعةً لله وقُربة، أم كان الطريق في معصية؛ كما أخبرنا الله ﷻ عن الشيطان أنه قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[الأعراف:١٦-١٧].

فأمَّا طريق الطاعة والقُربة فإنَّه يُثبِّطُهُ عنها، ويَحول بينه وبينَها، وأمَّا طريق المعصية فيَحثُّهُ على فعلها ويَدفَعُهُ إليها، فهو من أخطر ما يكونُ على الإيمان.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ وهو يضرب مثلاً عجيبًا لحال الشيطان مع الإنسان: «إذا أردتَ لذلك مَثلاً مُطابِقاً؛ فمثَلُه مَثلُ كلب جائع شديد الجوع، وبينك وبينه لحم أو خبزٌ، وهو يتأمَّلُك ويراك لا تقاوِمُهُ، وهو أقرب منك، فأنت تزجُرُهُ وتصيحُ عليه وهو يأبى إلا التحوُّم عليك، والغارة على ما بين يديك»(١).

(١) «التبيان في أقسام القرآن» (ص٤١٩).

ومرادُه رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا المثل: توضيح مدى خطر الشيطان على الإنسان إذا لم يستعذ بالله من شرِّه.

الدنيا وفِتَنُها

هذا العاملُ خطيرٌ جدًّا في التـأثير على الإيمان بالنَّقص، لا سيَّما إذا صارت الدنيا أكبر همِّ الإنسان، ومَبلغ علمِه، فعلى قدرِ حرصِهِ عليها ورغبتِهِ وافتتانه فيها يكون تثاقله عن الطاعة والعبادة.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد حذَّرنا من الافتتان بها أشدَّ التحذير، قال الله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وإنَّ ممَّـا يعين العبد على إدراك حقيقة الدنيا والزهد فيها، وطلب ما عند الله والدار الآخرة أمرين:

* **الأوَّل**: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها، وأنّ العبدَ سيفارقها إمَّا عن قريب أو بعيد.

* **والثاني**: النظر في الآخرة، وأنها آتيةٌ عما قريب، وأنها دار القرار، وأنَّها خيرٌ وأبقى، فإذا تأمل العبد في مثل هذا انتفع أعظم الانتفاع.

قُرَناءُ السُّوءِ

قد صحَّ عن النبي ﷺ التحذير من قرين السوء وخليط الفساد، قال: «**الرجلُ على دين خليلِهِ؛ فلينظرْ أحدُكم من يخالل**»[(١)]، ولهذا ينبغي على المؤمنُ أن لا يُصاحبَ إلا مَنْ تعود صحبته عليه بالخير والنَّفع في دينه، وأن يحذَرَ من مخالطة كلِّ أحد.

- يقول الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليس للمؤمن أن يقعدَ مع كُلِّ من شاء)[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، وحسَّنَه الألباني في «الصحيحة» رقم: (٩٢٧).

(٢) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة» (٢/ ٤٨١).

- ويقول سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: (ليس أبلغُ في فسادِ رجلٍ وصلاحِهِ من صاحبٍ)(١).

- ويقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اعتبروا الناسَ بأخْدَانِهم، فإنَّ المرءَ لا يُخادن إلا من يُعجبه)(٢).

فخُلْطَةُ الفسَّاق وأهل السُّوء من أعظم أسباب نقص الإيمان وضعفِه، بل وربَّما اضمحلالِه وتلاشيه، وذلكَ بحسب حال هؤلاء في السُّوء وبحسب خلطتِه لهم.

وممَّا استجدَّ في زماننا - وهو داخل في حكم الصَّاحب بل أمره أشدُّ- الجلوس إلى القنوات الفضائيَّة والمواقع المنحرفة في الشَّبكة العنكبوتيَّة، حيث تمكَّن أعداء الدِّين من خلال هذا المجال من الدُّخول إلى المساكن والبيوت يحملون فِتَنَهُم

---

(١) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة» (٢/ ٤٧٨).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٤٣٩).

وسمومَهم وينشرون رذائلَهم وحقاراتِهم وفجورَهم، وكانوا سابقًا يعجزون عن الوصول إلى أفكار الشَّباب وعقول النَّاشئة.

وإنَّ منَ المؤسف حقًّا أنَّ في أبناء المسلمين وبناتِهم من يجلس أمام هذه الشَّاشات المدمِّرة السَّاعات الطِّوَال يُصغي لهم بسَمعه وينظر إليهم بعَينه، ويُقبل على ما يعرضونه بقلبِه، ومع مرِّ الأيَّام تتسلَّل الأفكار الخبيثة، وتتعمَّق المبادئ الهدَّامة، وتُغزى العقول والأفكار، ويتزايد الشَّرُّ والفَساد.

والواجب على المسلم أن يصونَ نفسَه وبيتَه عن معاول الهدم وطرائق الشَّرِّ، فالأمر في غاية الخطورة، والحافظ هو الله، ومَن يعتصِم بالله فقد هُدي إلى صراط مستَقيم.

اللَّهمَّ أصلح لنا دينَنا الَّذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلح لنا آخرتَنا الَّتي إليها معادُنا، واجعل

الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خير، والموتَ راحة لنا من كلِّ شرٍّ.

وأسألُ الله تبارك وتعالى أن يُقوِّيَ إيماننا ويزيدَه، وأن يجدِّد الإيمان في قلوبنا، وأن يجعلنا هداة مهتدين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

